الآخر في شعر كُثير عزة

م.د. سرى أحمد صالح
sura.a@cis.uobaghdad.edu.iq
جامعة بغداد/ كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات

الملخص

تناولت هذه الدراسة الحديث عن ثنائية الأنا والآخر في ديوان شاعر من شعراء الغزل العذري في العصر الأموي، ورصدت هذه الظاهرة مع موضوع المرأة والسلطة والأصحاب والوشاة، كما رصد البحث موقف الأنا مع هذه المواضيع فقد كانت الأنا تعلو على الآخر وتحاول إقصائه مع المرأة والسلطة القبلية ،أم متساويان مع الأصحاب أو يجعل الآخر أعلى منه كما في موقفها مع السلطة السياسية ، وقد استعمل الشاعر مجموعة من الضمائر للدلالة على ثنائية الأنا والآخر وهي (أنا، نحن،هم ، هو، أنت) وكذلك استعمال الضمائر المتصلة (الكاف، الياء) وكانت هذه الثنائية أحياناً بحوار مباشر وأحيانا بحوار غير مباشر.

الكلمات المفتاحية: كُثير، عزة ، الآخر، الأنا، الثنائيات.

Physical Education and Sports Science College for women

Sura Ahmed Salih

University of Baghdad

Abstract

This study dealt with talking about the duality of the ego and the other in the Diwan of a poet of the poets of virgin spinning in the Umayyad era, and monitored this phenomenon with the subject of women, power, companions and whistleblower, as the research monitored the position of the ego with these topics has been the ego above the other and trying to exclude it with women and tribal power, or equal with the companions or makes the other higher than him as in her position with the political authority, the poet has used a set of pronouns to indicate the duality of the ego and the other It is (me, we, they, he, you) as well as the use of related pronouns (kaf, ya) and this duality was sometimes in direct dialogue and sometimes in indirect dialogue.

Keywords: many, pride, other, ego, dualities

المقدمة :

عالم الثنائيات موجود منذ التكوين الأول ، حيث ثنائية (الخالق والمخلوق) ، وكذلك ثنائية (الذكر والأنثى) وغيرها من الثنائيات ، ولكن الذي يسيطر على كل هذه الثنائيات مفهوم واحد وهو (الانا والاخر) .

هذان المفهومان مولودان معاً ، فلا يمكن أن نتخيل أنفسنا بمعزل عن صورة الآخر ، كما أن صورة الآخر لدينا هي حديث عن صورة من ذواتنا .

وعند النظر إلى المعاجم اللغوية نجد أن الآخر عند ابن منظور بمعنى "غير كقولك رجل آخر وثوب آخر"[١] ، فقال تعالى "فآخران يقومان مقامهما"[٢] .

أما ابن فارس في مقاييس اللغة فيرى الآخر "أحد الشيئين وهو اسم على أفعل ، والانثى أخرى"[٣]

وفي المعجم الوسيط الآخر "أحد الشيئين ويكونان من جنس واحد"[٤] .

هذا من حيث اللغة ، أما اصطلاحاً ، فلم يتبلور مفهوم أنا والاخر واضحا محددا إلا على يد التحليل النفسي حيث أصبحت لفظ الانا تدل على إنها "شعور بالوجود الذاتي المستمر والمتطور بالاتصال مع العالم الخارجي"[٥] ، أو"الذات المدركة التي تتحكم بدوافع (الهو) بما يتفق مع الواقع الاجتماعي والقيم الاخلاقية في المجتمع"[٦] ، ومن خصائصها أنها" متصلة بعالم الواقع اتصالاً مباشراً وهي حلقة الاتصال بين النزعات الغريزية ومثيرات العالم الخارجي ، ولها نزوع اخلاقي يحافظ على القيم ويرعى التقاليد"[٧] ، هذه الأنا لا توجد بمعزل عن الآخر فالوعي الجماعي ينتج من وجود تواصل بين افراد الجماعة ، فالأنا هي التي تحدد الآخر فهي حين تدرك "اختلافها ... تبدأ أول ما تبدأ في تحديد من يشابهها ومن يختلف معها ، الأمر الذي يخلق تحديداً لها ولغيرها" [٨] .

إذن العلاقة بين طرفي هذه الثنائية علاقة جدلية لا يمكن الغاؤها ، ودراسة هذه الثنائية في الأدب أمر مهم ، حيث يقودنا إلى فهم طبيعة علاقة المبدع بنفسه وبمحيطه إذا ما جعل من كل هؤلاء معنى الآخر . فالأنا المبدعة "لا توجد خارج الإطار الاجتماعي لتعيش وتبدع "[٩] ، فهي تعمل الأنا / المبدع على بناء تميزه الخاص به عن غيره من المبدعين ، أي تكوين أنا الابداعية التي تكون نتيجة "تعارض وانقطاع بين الواقع القائم وطموح الذات (الفردية والجماعية) إلى واقع غير متحقق"[١٠] ، فالمبدع لا ينتج النص إلا تعبيراً عن ما في داخله من عواطف ومواضيع .

وقد تناولت هذه الدراسة ثنائية الآنا والآخر التي ظهرت في البنية الشعرية لدى كثير عزة، واخترت دراسة هذه الظاهر في ديوان هذا الشاعر لإحساسي أن الشاعر أدرك أهمية الآخر في حياته وشعره، وجعله محورا في قصائده .

اولا: ثنائية أنا والحبيبة :

إن المرأة هي المحور الأساس في شعر الغزل العذري ، حتى جعل اسمها يقترن باسم محبوبته، والغالب على الشعر العذري بصورة عامة، وشعر كثير عزة بصورة خاصة هو اظهار ثنائية أنا / الشاعر المتعذب في الحب ، والآخر / المحبوبة التي لاتبالي بهذا العذاب ، وقد ذكر كُثير ذلك في شعره، من ذلك قوله:

إلى الله أشكو لا إلى الناس حبها ولابد من شكوى حبيب مودعُ
إذا قلت هذا حين أسلو ذكـــرتها فظـلت لها نفسي تتوقُ وتنزعُ
ألا تتقين الله في حـــــب عاشق لـــه كبد حرى عليك تصدعُ
....
وأصبحت مما أحدث الدهر خاشعاً وكنت لريب الدهر لا اتضعضعُ
فما في حياة بعد موتك رغبةٌ ولا في وصال بعد هجرك مطمعُ[١١]

فالشاعر يوضح عن طريق ذاته المتكلمة حالة الألم التي يعيشها في ظل صدود الحبيبة، فمن قوة الحزن الذي ملأ قلبه لايجد أفضل من الله يقدم له شكواه، ثم يوجه لها خطاباً مباشراً بين الآنا المتكلمة والآخر المخاطبة بقوله (ألا تتقين الله) ، ثم يضع مقارنة بين الآنا في الماضي والحاضر، حيث كان لايبالي بالدهر لأنه في حالة وصال مع الحبيبة، أما في الوقت الحاضر فهو متخوف من الدهر الذي كان السبب في بعده عن الحبيبة، وظاهرة الشكوى والخوف من الدهر ترد كثيرا في الشعر العذري، ونجدهم يضعون اللوم عليه في القطيعة ، وهذا ما أكده شاعرنا في قوله:

فما في حياة بعد موتك رغبةٌ ولا في وصال بعد هجرك مطمعُ

فنجد هنا يضع ثنائية الموت والحياة، والوصل والهجر، ليؤكد عن طريقها غياب الحياة والوصل مع الآخرين بعد غيابه، لأن الدهر قد أسهم في بعدها عنه.

ولكي يؤكد الشاعر حبه ورغبته في وصال الحبيبة وحالته في ابتعادها يلجأ إلى إيجاد آخر يقابل الآنا في قصيدته، وهو يمثل مركز الحب وهو (القلب) فخاطبه بالقول:

فيا قلب خبرني فلست بفاعلٍ إذا لم تنل واستأسرت كيف تصنع
وقد قرع الواشون منها لك العصا وإن العصا كانت لذي الحلم تقرع [١٢]

فهو يريد معرفة كيف استطاع هذا القلب أن يبتعد عن الحب، وقد حاول الواشون أن يبدلوا الحب الذي فيك، وقد استعمل الضمائر للدلالة على ثنائية الآنا والآخر (منها/لك) .

كرر الشاعر المعنى ذاته في قصيدة أخرى حيث قال:

بخلتِ فكان البخل منك سجية فليتك ذو لونين يعطي ويمنع
وإنك إن واصلت أعلمت بالذي لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع

فيا قلب كن عنها صبورا فإنها يشيعها بالصبر قلب مشيع
وإني على ذاك التجلد إنني مسر هيام يستبل ويردع[١٣]

فالشاعر يوضح تعلقه بالآخر/ الحبيبة على الرغم من بخلها لكل وصال بينهما، ولكن يرى إنها حتى في بخلها كرم، لأنها أصبحت مع الدهر في صدودها، وهذا ماتوقعه الشاعر/الآنا، لأنه لايرى من الدهر أن يكون مصاحباً له، فبسبب بخل الحبيبة وصدودها أصبحت شريكة مع الدهر الذي وجد في صدودها الشيء الطامع فيه وهو إيذاء الشاعر، لكن مع قطيعة الحبيبة ووقوفها بجانب الدهر فإن الآنا لازالت متعلقة بالآخر/الحبيبة، وصابر عليها، بل يخاطب القلب ليشاركه بهذا الصبر.

وقد مزج الشاعر ثنائيات أخرى إى جانب ثنائية أنا والحبيبة، وهي ثنائية الصبا واللهو و الشيب، ذلك بقوله:

ديار عفت من عزة الصيف بعدما تجد عليهنَّ الوشيع المثمما
فإن أنجدت كان الهوى بك منجدا وإن اتهمت يوما بها الدار اتهما
أجد الصبا واللهو أن يتصرما وأن يعقباك الشيب والحلم منهما
لبست الصبا واللهو حتى إذا انقضى جديد الصبا واللهو اعرضت عنهما
خليلين كانا صاحبيك فودعا فخذ منهما مانوّلاك ودعهما
على أن في قلبي لعزة وقرة من الحب ماتزداد إلا تقيما[١٤]

فالأبيات تتحدث عن علاقة الشاعر/الأنا بالحبيبة عزة التي تركت الديار ورحلت عنها، وتعود به هذه الديار إلى أيام الصبا واللهو والتي تحولت في الزمن الحاضر إلى إيام الشيب، وقد أوعز تحول حالة الحبيبة/الآخر عنه بسبب تحول حالته من الصبا إلى الشيب والتعب، وهذا يتضح بقوله:

لبست الصبا واللهو حتى إذا انقضى جديد الصبا واللهو أعرضت عنهما

فالحبيبة تصل عندما كان الشباب يحيط بالحبيب ونأت وابتعدت عندما جاءه الشيب، فهنا تظهر ثنائية الشباب والشيب متصلة مع ثنائية الوصل والهجر بين الآنا والآخر.

لكن الشاعر على الرغم من ذلك يقرع ذاته ويخاطبها بأن الذات ستبقى دائمة الحب للحبيبة عزة، وأثرها في القلب سيبقى مهما بدا منها الصد والهجران.

وأحياناً يمزج الشاعر في حديثه مع الحبيبة ثنائية أخرى غير ثنائية الشيب والشباب، وهي ثنائية الحياة والموت، وذلك في قوله:

إذا شاء ابكته منازل قد خلت لعزة يوما أو مناسب قالها
فهل يصبحن يا عز من قد قتلته من الهم خلوا نفسه لاهوى لها [١٥]

فمن قراءة للقصيدة مجد الشاعر يضع ثنائيتين في حديثه وهي ثنائية حب/حرب وثنائية حياة / موت، فالشاعر جمع في قصيدته بين موضوعي الغزل والحرب، ومازج في أبياتها بين الحياة والموت في اشتياقه للقاء الحبيبة/ الآخر ، فنجده يتحول من الخطاب عن الحياة إلى الخطاب عن الموت، ويؤكد أنها مهما ابتعدت لن ينسى ذكرها ويبقى حياً بذكرها وذلك في قوله:

فلست بناسيها ولست بتارك إذا أعرض الأدم الجوازي سؤالها[١٦]

ثانياً: أنا والسلطة:

المجتمع منذ أن تكون وهو يخضع لسلطة ، وقد كانت على نوعين سلطة قبلية وسلطة سياسية ، فقد كانت القبيلة تمثل رأس السلطة ، وعندما جاء الاسلام أصبحت السلطة تعني القوة والسيطرة.

وقد تعددت المفاهيم حول كلمة الدولة ، قد عرّفها جاك دونديو دوفابر قائلاً : " هي نوع من التنظيم الاجتماعي الذي يضمن أمنه وأمن رعاياه ضد الأخطار الخارجية أو الداخلية . وهو يتمتع لهذا الغرض بقوة مسلحة وبعدة أجهزة للإكراه والردع . ولا توجد دولة بلا درجة عالية من الانسجام الاجتماعي والتنظيم التسلسلي اللذين يسمحان للحكومة بإشعاع سلطتها وتنفيذ رغباتها " [١٧] أو هي "المرجع الأعلى المسلم له بالنفوذ أو الهيئة الاجتماعية القادرة على فرض إرادتها على الارادات الاخرى بحيث تعترف الهيئات الاخرى لها بالقيادة والفضل وبقدرتها وحقها في المحاكمة وانزال العقوبات وبكل ما يضفي عليها الشرعية ويوجب الاحترام لاعتباراتها والالتزام بقراراتها"[١٨] .

وبالطبع، هناك مصطلحات تقترب بدرجات متفاوتة من هذا المفهوم مثل" :القوم"،" الرعية"، "الجماعة"،" الأمة"،" الحكم"،" الحكومة"،" السلطة "و"السلطان" ، إذن الدولة هي التي تحكم المجتمع، ولهذا المجتمع موقفه منها، فقد يكون موقف محبة وطاعة أو يكون موقف عداء وعصيان، ولأن الشاعر هو جزء من المجتمع كان لابد ان يكون له موقفه الخاص من هذه السلطة، وكون الشاعر لسان حال المجتمع جعله يدخل في علاقة مع السلطة الحاكمة ، ولم تكن تلك العلاقة على وتيرة واحدة ، كما الحال بالسلطة نفسها فكانت تتمثل باشكال واختلافات عدة، فمن أهل السلطة من كان يمثل العدل ، ومنهم من كان على الطرف الاخر فتغلب أهواؤه على ضميره العادل، وكانت للظروف السياسية والاجتماعية دوراً في تشكيل العلاقة بين الشاعر والسلطة بالاضافة إلى التركيب النفسي الذي يتسم به الشاعر ، وكذلك يتسم به صاحب السلطة. هذه العلاقة كانت لها الدور في رفع مكانة الشاعر أو انزالها ، كما إن للسلطة التأثير الكبير على ما يبدعه الشاعر فالسلطة غالباً ما تتحكم بألسنة الشعراء فيسود المدح والنفاق وأحياناً يسود الهجاء .

ولمعرفة موقف شاعرنا من السلطة بنوعيها القبلي والسياسي فقسم المحور على جزئين:

- أنا والسلطة القبلية:

استخدم كُثير عزة ثنائية الأنا والآخر في القصائد التي يهجو بها اعدائه ويفخر بقومه واتضحت هذه الثنائية بقوله:

ونحن منعنا من تهامة كلها جنوب نقا الحوار فالدمث السهلا
بكل كميتٍ مجفرِ الدفّ سابحٍ وكل مزاقٍ وردةٍ تعلكُ النكلا
غوامضُ كالعقبان إن هي أرسلت وإن أمسكت عن غَربها نقلت نقلا
عليهن شعثٌ كالمخاريقِ كلهم يعد كريماً لاجباناً ولا غلا
بأيديهم خطيةٌ وعليهم سوابغٌ فرعونية جدلت جدلا
ترانا ذوي عز ويزعم غيرنا من أعدائنا أن لايرون لنا مثلا [١٩]

يفتخر كُثير عزة في قصيدته بالقيم العربية التي يتمتع بها هو وقبيلته في الحرب، فهم محاربون وخيولهم مجهزة من أجل الحروب وتتضح الأنا عن طريق تكرار الضمير (نا) الذي جاء ليدل على الأنا الجماعية، وهذا يأتي منسجما مع العظمة التي يشعر بها الشاعر في هذا الموقف الذي جعل الأنا تتحول من الدلالة على الشخصية المفردة إلى الدلالة على الشخصية الجماعية متمثلة بالقبيلة التي ينتمي لها الشاعر، يقابلها اقصاء للآخر وهم قبيلة القوم الخصم قبيلة تهامة حيث سلبهم كل مقومات القيم الحربية.

كُثير عزة الذي يشيع في شعره الرقة والحب والعشق، لكن هذا لم يمنعه من الفخر بقبيلته وإقصاء الآخر الخصم، بل وصل به حب ذاته / الأنا إلى الدعوة لتطهير الأرض من خصومه ، بقوله:

لا بأس بالبزواء أرضاً لو أنها تطهر من آثارهم فتطيبُ
إذا مدح البكري عندك نفسه فقل كذب البكري وهو كذوبُ
هو القيسُ لؤماً وهو إن راء غفلة من الجارِ أو بعض الصحابة ذيبُ [٢٠]

فمن يقرأ هذه الأبيات يراه مفعماً بحب الأنا الجماعية وإقصاء الآخر والقضاء عليه، وهذا ناجم من حب الأنا الكبير لديه.

ولم تكن الأنا الجماعية هي الحاضرة الوحيدة في ديوان كُثير عزة في محور حديثه عن الآخر/ السلطة القبلية ، إنما كان لحضور الأنا الفردية وضوحا كبيراً في ديوانه، من ذلك قوله:

أود لكم خيراً وتطرحونني أكعبَ بن عمرو لاختلاف الضائعِ
وكيف لكم صدري سليمٌ وأنتم على حسكِ الشحناء حنو الأضالعِ
على كل حالٍ قد بلوتم خليقتي على الفقر مني والغني المتتابعِ
....
وبعض الموالي تُتقى درءاتُهُ كما تُتقى رؤوس الأفاعي الأضالعِ [٢١]

فكُثير عزة يفضل نفسه على الآخر، وتطغى الأنا عليه، فهو يريد للآخر الخير، وهو يتصف بالوفاء سواء أكان فقيراً أم غنياً ، فهو يريد أن يساوي أو يرتفع على الآخر بكل الصفات التي تتحلى بها الأنا.

- أنا والسلطة السياسية:

كان إلى جانب سلطة القبيلة هناك سلطة الملوك الحاكمين للبلاد الذين توجه إليهم الشعراء بقصائدهم لمدحهم وكسب المال منهم، وبعضهم مدحهم لوجود علاقة صداقة رابطة بين الشاعر والحاكم.

ظهر في ديوان كُثير عزة مجموعة من القصائد التي مدح بها حكام بني أمية، من ذلك قصيدته التي مدح فيها عبد الملك بن مروان، وقد منح الشاعر وفائه ومديحه لهذا الملك، حيث قال:

ثنائي تؤديه إليك ومدحتي صهابية الألوان باقٍ ذميلها
عسوفٌ بأجواز الفلا حميرية مريشٌ بذئبان السبيب تَليلُها
يغادي بغار المسك طوراً وتارة ترى الدرع مرفضاً عليه نثيكُها[٢٢]

فيتحدث عن الأنا التي جعلت كل ثنائها ومدحها للآخر/ الممدوح، وهذا يظهر بشكل واضح من استعمل كُثير عزة لشبكة الضمائر الدالة على الأنا والآخر، فالياء في (ثنائي – مدحتي) تدل على الأنا الموجهة للآخر باستعمال ضمير الكاف بقوله (إليك)، فهنا تخصيص الثناء والمدح بالممدوح لاغير.

كذلك نلحظ قول الشاعر:

وإني امرؤٌ قد كنت أحسنت مرةً وللمرء آلاء عليَّ استطالها
فأقسم ما من خلة قد خبرتها من الناس إلا قد فضلتَ خلالها
وما ظنةٌ في جنبكَ اليوم منهم أزنُّ بها إلا اضطلعتُ احتمالها
وكانوا ذوي نعمى فقد حال دونها ذوو أنعمٍ فيما مضى فاستحالها
فلا تكفروا مروان آلاء أهله بني عبد شمسٍ وأشكروه فعالها
....
وإني مدلٌ أدعي أن صحبةً وأسباب عهد لم أقطعْ وصالها
فلا تجعلني في الأمور كعصبةٍ تبرأتُ منها إذ رأيتُ ضلالها [٢٣]

فهنا تظهر ثنائية الأنا والآخر بوضوح، فمنهما كان إحسان الأنا كان يقابلها إحسان مضاعف من الآخر/ الممدوح، حتى إن حسنه من كثرته قد غمر الناس جميعهم ، حتى إنه قارن بين النعم التي تعطى للناس سابقا في زمن الحكام السابقين وبين حالها الآن في زمن عبد الملك بن مروان، ليبين أن إحسان الممدوح / الآخر هو أضعاف إحسان الشاعر/ الأنا، الذي شمل حسنه كل الرعية، وطالبهم الشاعر بالشكر للآخر بدل انكار ذلك عن طريق ثنائية (لاتكفروا/ اشكروه).

ثم يعود الشاعر ليتكلم عن الذات ليبين أنه باقٍ على الوصال وعدم مقاطعة الممدوح ويطلب من الآخر / الممدوح عدم قطع هذه الصلة ، ولايجعله مع الذين ظن أنهم مظلون فابتعد عنهم.

وفي مدحه لأبي بكر بن عبد العزيز بن مروان تظهر شبكة الأنا/ الآخر سلطة الدولة، حيث قال:

أريدُ أبا بكرٍ ولو حال دونه أما عِزُ تغتال المطيّ وبيدُ
لتعلمَ أني للمودة حافظٌ وما لليد الحسنى لديّ كنودُ
وإنك عندي في النوالِ وغيرهِ وفي كل حالٍ ما بقيت حميدُ
فآلاء كفّ منك طلقٍ بنانها بذلك إذ بعضهن جمودُ
وآلاء مَنْ قد حال بيني وبينه عدىً ونقا للسافياتِ طريدُ
فلا تبعدن تحت الضريحة أعظم رميمٌ وأثوابٌ هناك جرودُ
بما قد أرى عبد العزيز ونجمه إذا نلتقي طلقُ الطلوعِ سعودُ
له من بنيه مجلسٌ وبنيهم كرامٌ كأطرافِ السيوفِ قعودُ
فما لامرىء حي وإن طال عمرهُ ولا للجبالِ الراسيات خلودُ
وأنت أبا بكر صفيي بعده تحنّى على ذي وُدّهِ وتعودُ [٢٤]

فهنا تظهر علاقة الشاعر بالسلطة فهو حافظ للوصال سواء كان الآخر في حال وصال/ قطيعة يبقى الآخر/ الممدوح في نظر الأنا / الشاعر حميد، ثم يظهر ما أراد أن يقوم به الآخرون للوقوع بين الثنائي الأنا/ الآخر، لكن رغم ذلك فعند لقاءه بعبد العزيز تكون السعادة والوصال بينهما.

وقد أظهرت شبكة الضمائر المستخدمة لإبراز هذه الثنائية رغبة الشاعر في إخبار الآخر بقائه على الوصال والمحبة على الرغم مما يفعل به الآخرون من خطط للإيقاع بينه وبين الممدوح / الآخر، وقد استخدم الحوار المباشر مع الممدوح لإظهار حالة الوصال التي يريد البقاء بها وعدم تغيرها بل جعله هو البقاء والسند فلا شيء في هذه الحياة خالد.

وفي قوله:

وإنك عمري هل ترى ضوءَ بارقٍ عريض السنا ذي هيدبٍ متزحزحِ
قعدتُ لهُ ذات العِشاء أشيمهُ بمرٍّ وأصحابي بجبةِ أذرحِ
ومنه بذي دورانَ لمعٌ كأنهُ بُعيدَ الكرى كفّا مُغيضٍ بأقدحِ
فَقُلتُ لَهُم لَمّا رَأَيتُ وَمِيضَهُ لِيُروَوا بِهِ أَهلَ الهِجانِ المُكشَّحِ
قَبائِلَ مِن كَعبِ بنِ عَمروٍ كَأَنَّهُم إِذا اِجتَمَعوا يومًا هِضابُ المُضَيَّحِ
تَحُلُّ أَدانِيهِم بِوَدَّانَ فالشَبا وَمَسكِنُ أَقصاهُم بِشُهدٍ فَمِنصَحِ [٢٥]

فهنا تداخل خطاب بين ذاتين مخاطبة ومتكلمة، ذلك بقوله (إنك عمري)، فالذاتين ترصدان ضوء البرق في السماء، ثم تحول الخطاب من مخاطبة الآخر إلى مخاطبة الذات المتكلمة وذلك في قوله (قعدت) ليبين بقاء الأنا برصد البرق الذي شبهه بكفي من يطرح الخير، ثم ليتحول للكلام مع الآخرين للحديث عن الآخر لإظهار كرمه فهو يطلب منهم أن يلحظوا هذا الممدوح/ الآخر فهو كالمطر الذي راقب بريقه فأتى ليعم البلاد بالخير.

ثالثاً: أنا والأصحاب والوشاة:

كان لحضور هذه العناصر في الغزل العذري عند كُثير عزة دورا كبيرا في إظهار لوعة الحب وفراق الحبيب.

فالأصحاب جعلهم كُثير عزة وسيطاً بينه وبين المحب ويظهر ذلك في قوله:

خَليلَيَّ عوجا مِنكُما ساعَةً مَعي عَلى الرَبعِ نَقضِ حاجَةً وَنُوَدِّعُ

وَلا تَعجَلاني أَن أُلِمَّ بِدمنةٍ لِعَزَّةَ لاحَت لي بِبَيداءَ بَلقَعِ

وَقولا لِقَلبٍ قَد سَلا راجِعِ الهَوى وَلِلعَينِ أَذري مِن دُموعِكِ أَو دَعي[٢٦]

فالشاعر يجعل الأنا والآخر متساويان هنا في الوقوف على أطلال الحبيبة ، فالشاعر هنا لايريد إقصاء الآخر، كما كان يفعل مع الآخر/ السلطة القبلية أو في الهجاء، إنما هنا يطلب من الآخر/ الأصحاب الوقوف معه ومشاركته ألم الفراق، وهذا ظاهر في قوله (خليلي عوجا مِنكُما ساعَةً مَعي) ، بل لاتقف إدخال الأصحاب في مشاركة الوقوف على الأطلال إنما يصل الأمر إلى إبداء النصيحة فيقول:

وقال خليلي قد وقعت بما ترى عزيزة لاتفقد ولاتبعد [٢٧]

أما الوشاة فهم على العكس من الأصحاب كان لهم الدور الكبير في إفساد علاقة الحب التي تجمع بين الشاعر والمحبوبة، قال:

وَقائِلَةٍ دَع وَصلَ عَزَّةَ وَاِتَّبِع مَوَدَّةَ أُخرى وَابلُها كَيفَ تَصنَعُ

أَراكَ عَلَيها في المَوَدَّةِ زارِياً وَما نِلتَ مِنها طائِلاً حَيثُ تَسمَعُ

فَقُلتُ ذَريني بِئسَ ما قُلتِ إِنَّني عَلى البُخلِ مِنها لا عَلى الجودِ أَتبَعُ[٢٨]

فالعاذلة تلومه على حبه لحبيبة ليس هما غير البخل في الحب والإبتعاد، فيقابلها كُثير عزة بتفكير معاكس لتفكيرها يدل على ثقافة الشاعر العذري الذي يرى أن لذة الحب أن تكون في البخل في الحب من قبل الحبيبة وهو يطلب من الآخر/ الوشاة الابتعاد عنهما لا أن يستجيب لطلبها بالابتعاد عن الحبيبة، وقوله:

يلومُكَ في ليلى وعقلُكَ عندها رجالٌ ولم تذهبْ لهم بعقولِ

يقولون ودّعْ عنكَ ليلى ولا تهمْ بِقَاطِعَةِ الأقْرَانِ ذاتِ حليلِ

فَمَا نَقَعَتْ نَفْسِي بما أمرُوا بهِ ولا عِجْتُ مِنْ أقْوَالِهِمْ بفَتِيلِ[٢٩]

فتظهر لنا في البدء كلام الآخر/الوشاة ودورهم في اقناع الأنا بالابتعاد عن الحبيبة لم يأتِ منها غير البخل والإبتعاد ولكن في ظل حديث الآخر تظهر الأنا وبكل قوة لإيقاف خطاب الآخر وتحديد موقفها من المحب والتأكيد على ديمومة الحب بقوله (فما نقعت نَفْسِي بما أمرُوا بهِ) ، (ولا عِجْتُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ بفَتِيلِ) .

الخاتمة:

إن هذه الدراسة هدفت للكشف عما في بنية النص الشعري لكُثير عزة من ثنائيات مع الآخر وما تنتجها هذه الثنائية من كشف مدى شغف كُثير إلى تغييب ذاته أو إقصاء الآخر، فقد تبين لنا من دراسة مواقف الأنا مع الآخر أن كُثير عزة حاول أن يظهر ذاته على حساب الآخر في محور المرأة والقبيلة وذلك ليبين مدى الألم الذي تعانيه الذات مع المرأة الحبيبة، على العكس منها مع القبيلة أراد أن يبين الاخلاق والصفات الحربية التي يتمتع بها مع قبيلته في لقاء الخصم، لكنه عاكس المسألة مع الآخر السلطة السياسية فلأن العلاقة طيبة بينه وبين الممدوح حاول أن تكون صفات الآخر أعلى من صفاته الذاتية ، أما مع الأصحاب فأراد مشاركتهم معه في الشعور بألمه ، ومن الامور التي لوحظت استخدامه لعدد من الضمائر المتصلة والمنفصلة الدالة على هذه الثنائية، وأحياناً تتداخل ذاتان في الحوار وهي ذات متكلمة وأخرى مخاطبة.

المصادر :

- القرآن الكريم
- الأنا والهو، سيجمند فرويد، اشراف:د.محمد عثمان نجاتي،دار الشروق، ١٩٨٢،ط٤
- التداول السلمي للسلطة في نظام الحكم الإسلامي ، د. اوات محمد أمين ، مجلة جامعة كركوك للعلوم الانسانية ع٢، مج٤، السنة الرابعة٢٠٠٩
- حركية الابداع دراسات في الادب العربي الحديث، خالدة سعيد،دار الفكر١٩٨٦،ط٣
- الدولة , جاك دونديو دوفابر، ترجمة احمد حسيب عباس ، مراجعة د. ضياء الدين صالح ، مكتبة طريق العلم، ١٩٥٨،ط١
- ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه د. إحسان عباس، دار الثقافة،١٩٧١
- شعرية الهوية ونقض فكرة الأصل ،د. علاء عبد الهادي،مجلة عالم الفكر،مجلد ٣٦،ع١،الكويت،٢٠٠٧
- صورة الذات وعلاقتها بالتفاعل الاجتماعي،نادرة جميل حمد، رسالة ماجستير،جامعة بغداد كلية الآداب ٢٠٠٤
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(ت ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ، د.ط ، د.ت .
- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية ١٩٨٤

- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية القاهرة ، ٢٠١١، ط٥
- مقاييس اللغة ، ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ - ١٩٧٩م ،ط١.

الهوامش :

١- لسان العرب : مادة آخر

٢- سورة المائدة :١٠٦

٣- مقاييس اللغة : مادة آخر

٤- المعجم الوسيط : مادة آخر

٥- المعجم الأدبي : ٣٦

٦- الانا والهو :٧٥

٧- شعرية الهوية : ٢٨٤ - ٢٨٥

٨- م.ن :٢٨٤

٩- صورة الذات وعلاقتها بالتفاعل الاجتماعي : ١١

١٠- حركية الابداع :١٤

١١ - الديوان : ٤٠٩

١٢ - الديوان : ٤٠٩

١٣ - الديوان : ٤٠٥-٤٠٦

١٤ - الديوان : ١٣٣

١٥ - الديوان : ٧٦

١٦ - الديوان : ٧٧

١٧- الدولة , جاك دونديو دوفابر : ٦

١٨- التداول السلمي والسلطة : مجلة جامعة كركوك : ١٠٠

١٩ - الديوان : ٣٨٣

٢٠ - الديوان : ٣٨٧

٢١ - الديوان : ٢٣٩

٢٢ - الديوان : ٨٥

٢٣ - الديوان : ٨٦-٨٨

٢٤ - الديوان : ١٩٧

٢٥ – الديوان : ٤٧٩

٢٦ – الديوان : ٤١٠

٢٧ – الديوان : ٤٣٤

٢٨ – الديوان : ٤٠٥

٢٩ – الديوان : ١١٢